

في الرحلة الى الحجاز

قدح الزناد

للانسة عزيزة توفيق

أخذ هذا الغلام يجمع جوازات السفر ليؤثر عليها من المحتشمين ،
ومن ثم قادنا إلى حيث أعلتنا سيارات إلى مدينة جدة

وجدنا جدة نفرا جيلا ، ذا مبان نخمة تضامى طراز البيوت
في أية بلد متمدن . وبها منتدى « كازينو » يسميه الوطنيون
« الثلاثة » ويدبره جماعة من الحجازيين بلباسهم الوطنية ،
وعى عبارة عن مزرع مبرقش يجمعه حزام ، أو جلباب واسع
مشدود من الوسط بمنطقة من القماش ، وينطلي رءوسهم « لاسة »

ينساب أحد طرفيها على قدام لتعتمها وهج الشمس ، ويسمى
عندهم « المذبة » . وكما كان لطم المطب « ايلاتي » الذي قدم
لنا هناك قدة أية لثة ؛ وعلى الأخص حينما كنا نسرح الطرف آماداً
بميدة جوالا على تمازيج الأمواج الزاخرة ، ثم يند إلى محيط
النادى ذى الفرابة والسحر

قضينا بجدة يوماً ممتعا . وفي اليوم الثالث وافتتحت السيارات
لنقلنا إلى مكة ، فسارت بنا في طريق وعرة ، تحف بها من جانبيها
جبال شاهقة وهضاب مرتفعة ؛ قد اختلفت مادة ولوناً . وها نحن
نرتقم إلى أعلى وقد اهتزت بنا السيارة بمحاذاة أحد التلوة في
الطريق ، ثم نهبط تبكاً لانحدارها المفاجى . ثم إذا بها تدور
فتميل حتى تتلامس الرءوس ، وقد أنهلت قلوبنا فرقا
وأخيراً تعود السيارة سيرتها المستقيمة ، ويعطى على خوفنا
اطمئنان يزيجه الإيمان

حتى بلغنا مكة . وكانت هذه أولى قدحات زناد إيماننا .
إن أى عالم تقسأى لا يستطيع أن يدرك مدى تلك السمادة
الروحية التى شعرنا بها ونحن نمر بأبواب الحرم الشريف في طريقنا
إلى منزل « الطوف » الذى ماكدنا ندخله حتى دعا الداعي إلى
« طواف القدوم » ، فأسرعنا كأطفال في يوم عيد تطفح
وجوهنا بشرا ، لمحتة أنا في كل وجه حتى في وجوه الشيوخ منا .
وسرنا وراء « المدعى » تردد تلبياته وأبتهالاته واستغفاراته ،
بصوت خاشع منيب ، فيه رنة تنفذ إلى القلوب في رهبة ، ونحفز
الأرواح لتلهج بها الألسنة مرردة هذا الاستغفار والابتهاال :
« ياوب لقد جئتكم من بلاد بعيدة ، بذنوب كثيرة ارحمك ياوب !

تعالى تهليل القوم وتكبيرهم إذ لاحت معالم جدة من بعيد ؛
لقد مضى عليهم يومان وهم لا يرون إلا زرقة السماء والبحر .
وعلا الوجوه بشر وصفاء ، وابتسم خدم الباخرة في ارتياح ،
وأخذوا يهتفون بالحجاج بسلامة الوصول ، مؤكدين أنه سيكون
حجاً مبروراً ؛ فقد كانت آيات الرضا من الله تتجلى في الريح
الرخاء التى صاحبت الباخرة طوال اليومين الماضيين .

ووقفت بنا الباخرة على مبعدة من الشاطئ ، حيث بدت
منازل جدة ومن خلفها الجبال ملققة بأضواء الشروق أضفتها
عليها شمس الصباح ، فبدت في حلة أرجوانية
وفي ابتهاج أسرعنا بالنزول إلى الزوارق البخارية التى أخذت
نهددنا في رفق على صفحة الماء الساجى ، حتى لحقت بنا أمتعتنا
وسارت الزوارق بسرعة ، يقودها حجازيون ذوو بشرة سمراء
محمر ، تطل من وجوههم عيون تبرى نشاطاً وتصفو إيماناً .
وكانت شرائط المياه البيضاء المتخلقة من انسياب الزوارق على
صفحة المياه الزمردية تسرع خلفنا في وشوشة موسيقية رتيبة ،
وأحياناً يملو عليها صوت الحجاج « لييك اللهم لييك » .
ووصلنا جدة !!

إذ ذاك طالعنا لوحة فنية رائعة ؛ تمثل مختلف الشعوب
الإسلامية ، لقد كانت لوحة حية Tableau vivant لمختلف
الوجوه والأشكال ؛ على رغم أن الجميع كانوا بلباس الإحرام .
وواغانا من بين الجمع غلام يافع ، يتدلى شعر رأسه الأسود في
خصلات لامعة مددلة على كتفيه ، وقد علت تلك الخصلات
قلنسوة « طافية » مطرزة بألوان زاهية أكسبت لونه الخمرى بهاء .



شكاة شاعر.

(مرفوعة إلى عميد الأدب العربي ، ووزير المعارف
المصرية ، الدكتور طه حسين باشا)

للاستاذ إبراهيم محمد نجما

إليك ، وبى ياس أضاع شبابيا
وأنت الذى يرجى لكل عظيمة
وحسبى فخارا أننا من أرومة
كلانا نماء الأزهر السمح للعلمى
وهأنذا أسمى إليك مجاهدا
خلقت بروحى طائرا مترعنا
إذا ما تنقنى أنصت الكون خاشعا
سكنت أغاريدى على كل روضة
قبا بال قوى كبكتنى قيودهم
هقا الله عن قومى يريدون شقوتى
إذا لم أعش فى جنة فوق ربوة
شكوت ولم أفصح ، وحسبى إشارة
عهدتك ترعنى ، وترعى مواهبى
وبلغت أقصى ما تريد من التنى
إنى جدير أن أظل على المدى
توجهت أبنى أن تميز رجائيا
إذا لم أجد فردا على الخير ساعيا
موحدة طالت ذرا النجم راقيا
وهأنذا جاوزت الكواكب ساميا
فأدرك جهادى ، واستجبت لندائيا
يخلق فى الآفاق يبنى الأعاليا
وأصفت له الأيام ركبا وحاديا
وفى كل أفق قد بثت الأغانيا
فمشت أسيرا موجه القلب باكيا
كأنهم يستمذبون شقائيا
فكيف أغنى هادى النفس راضيا ؟
إذا جئت أبدى لليب شكايتا
فلا زلت مرعيا ، ولا زلت راعيا
وأنت جدير أن تنال الأمانيا
مقيا على عهد الودة واقيا
إبراهيم محمد نجما

إلى النمل الخالد

الاستاذ حسن عبد الله القرشى

صوت العروبة فى هديرك مرزم
يا راكضا كالهمر مطلق المدى
تجرى السفائن فيك وهى موائس
وعلى سفانك شملة تتضرم
تفتر للنعمى ومنك الأنعم
وتنب منك وأنت زاه تبسم

فغرائك يارب ا « وكأنت « المدعى » بمد الباء الأخيرة فى
« يارب » فتصل إلى غور عميق من النفس
ودخلنا من « باب السلام » إلى بيت الله الحرام ، ووقفنا
تجاه الكعبة قانتين . ودعونا الله أن يزيد بيته الحرام تشريفاً
ونكريا ، وأن يغفر لنا ما تقدم من ذنبنا وما تأخر ، ثم دعونا
بما نريد من مطالب الدنيا ؛ إذ قيل لنا : إن الله يستجيب ما يطلبه
المرء فى هذا المكان . وإذا بى لا أجدنى طالبة من الله إلا أن
يسهل لى الطواف ولمس الحجر الأسود « الأسود »

وإذ نويتا الطواف أسرعنا وسط الجوع الزاخرة ، بدفنا
الموج الأدنى من مختلف الثوب والأمم . يتزاحمون ويتدافعون
بألنا كب ، كل مشغول بنفسه ؛ كأنهم فى يوم الحشر بين
يدى الديان

نظمت إليهم وأنا أجرى يجرى تيارهم ، وم كتل متراسة
مبسكة ، كل منها تردد الدماء خلف مطوفها ، كل بلبنته ولسانه .
وحينئذ خيل إلى أن أمتنى أن يكون لها نصيب من التحقيق .
وصرت « بالركن الجانبي » وأمكننى أن ألهه مقبلة ، وما واقيت
الحجر الأسود حتى رأيت الجوع المزدهجة عليه فى تهافت وتلف
قد انشقت منسححة أمامى طريقاً أفضى بى إلى الحجر بين ذهول
هذه الجوع الذى لم يدم إلا لحظة عدت فيها من لمس الحجر
وتقبيله . وخرجت من الازدحام لأنعم دورات الطواف السبع ،
وحين وصلت إلى دكن « إبراهيم » ووقفت لأولى ركعتين
هما سنة الطواف رفعت طرفى إلى السماء ، وقد شاع فى كل كيان
بسات من السمادة ! تبارك الله جل جلالته ؛ فلقد حققت أمتنى
وسمعت بلس الحجر . وحين كنت أؤدى ركعتين فى « حجر »
إسمايل « رحى أعنى ما شئت من نعم الدنيا والآخرة ، وكلى
ثقة وإيمان بأن الله جل جلالته سيحققها بإذنه إن شاء .
وجلست لأستريح بالحرم وأجلت البصر فيما حوالى

عزيرة توفيق

الكلام ص ٤

الدراسات التالية — القسم الترموزى
كلية الآداب